

## الأسس الفكرية والعلمية في التراث الإسلامي وأثرها في التقارب

### بين المذاهب الإسلامية

أ.م.د. محمد جواد كاظم السلامي  
كلية الإمام الكاظم (عليه السلام)

المقدمة:

لا شك في أن اتحاد الأمة الإسلامية على أسس ديننا العظيم هو أمل كل المسلمين في كل مكان؛ ذلك أن الإسلام هو الذي جعل من العرب المتناحرين إخوة في دين الله، والمسلمون في عصر المواجهة الحضارية والثقافية والسياسية بأمس الحاجة إلى وحدة الفكر والبناء والعمل المشترك من أجل بناء قوة الأمة الإسلامية، والحفاظ على قوتها وعزتها.

وهذا يستدعي التعريف بالجسور المتينة التي تقوم عليها وحدة الأمة، وخصوصاً في المجالات الفكرية والعلمية في المجالات الكلامية والفقهية والأصولية؛ ذلك أن الخلاف فيها بين المذاهب الإسلامية في جوهره أمر يسير، ونقاطه قليلة محصورة بسبب وحدة المصادر الاستنباطية والاعتماد على أصالة القرآن الكريم والسنة الشريفة، ووجوب رد كل نزاع أو خلاف إليهما، لذا فإن نقاط الالتقاء بين المذاهب الإسلامية أكثر مما يفرقها. ومن هنا اقتضى البحث في أهم الأسس الفكرية والعلمية بين المذاهب الإسلامية لتحقيق الغرض المنشود وهو التقارب فيما بينها، واستكناه الثروة الفكرية التي تركها لنا علماء الأمة.

ومن أجل إعطاء صورة واضحة للبحث فقد قسمته على مقدمة ومبحثين، عرض المبحث الأول التعريف بمفهوم (التقارب والمذاهب) في اللغة والاصطلاح، وكذلك بيان أهمية التقارب بين المذاهب الإسلامية، وعرض المبحث الثاني الأسس العلمية والفكرية للتقارب بين المذاهب الإسلامية، فضلاً عن الموانع والعقبات التي قد تقف في طريق التقارب، مختماً البحث ببعض النتائج، ومذليلاً البحث بقائمة من المصادر.

## المبحث الأول

التعريف بمفردات العنوان

المطلب الأول: مفهوم (التقارب والمذاهب) في اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف التقارب في اللغة والاصطلاح:

١. التقارب لغة.

القرب: نقيض البعد، والتَّقَارُبُ ضدُّ التَّبَاعُدِ، قال سيبويه: إِنَّ قُرْبَكَ زَيْدًا، وَلَا تَقُولُ إِنَّ بَعْدَكَ زَيْدًا، لِأَنَّ الْقُرْبَ أَشَدُّ تَمَكُّنًا فِي الظَّرْفِ مِنَ الْبُعْدِ... وَتَقَارَبَ الشَّيْئَانِ: تَدَانِيَا. (١)

والبعد نقيض القرب، والتباعد نقيض التقارب. (٢) فالتقارب مصدر مشتق من الفعل قرب، وهو الدنو.

٢. التقارب اصطلاحاً.

لأنكاد نجد تعريفاً واضحاً للفظ (التقارب)؛ لأن هذا اللفظ من مستحدثات هذا العصر، ولكن يمكن أن نقف على بعض التعريفات التي تتقارب مع هذه اللفظة، فمثلاً عرف بأنه:

أ. مقارنة اليقين في الاعتقادات والأحكام، وذلك حين توصلنا الأدلة والبراهين إلى نتائج وحقائق على درجة من الصحة والثبوت، يتلاشى معها احتمال الخلاف، وهذا يفضي إلى مقارنة التمام والمنتهى من دون الوصول إليه. (٣)

ب. محاولة جادة لتعزيز الروابط بين أتباع المذاهب الإسلامية، عن طريق تفهم الاختلافات الواردة بينها، ونزع آثارها السلبية، وليس إزالة أصل الاختلاف في البين. (٤)

ج. اتجاه فكري داخل أمة الإسلام، مجرد تماماً من اللون الطائفي والإقليمي، هدفه التخلص من العداوة المتبادلة بين أهل المذاهب الإسلامية المختلفة وصيانة وحدة المسلمين. (٥)

د. أن يكون بين المذاهب الإسلامية تعارف والتقاء، وهذا يشير إلى ما بينهما من حالة التنافر والتباعد، وإلا لما كان لإطلاق لفظ التقارب معنى. (٦)

وعلى هذا فالتقارب إذن وسيلة لجمع ورأب الصدع، وتبادل حسن الظن والتقدير من أجل وحدة الأمة، والتأكيد على أن التقارب لا يراد به إلغاء أصل الخلاف بين المذاهب الإسلامية، بل الغرض منه هو إزالة ما يكون سبباً للعداء والبغضاء، وتبديل التباعد والتضارب بالإخاء والتقارب.<sup>(٧)</sup>

يقول الشهيد المطهري بهذا الصدد: "إن اختلاف المسلمين في المسائل الكلامية والفقهية ليس بالمستوى الذي يزعزع وحدتهم العقائدية العملية؛ لأن مشتركاتهم العقائدية والعملية من الكثرة بحيث لا تباريها موارد الخلاف بينهم".<sup>(٨)</sup>

ومنهم من يرى أن التقارب لا يقصد به أن يلغي المسلم انتماءه المذهبي، كأن يكون السني شيعياً أو العكس، وأن يتخلى كل ذي مذهب عن مذهبه، وليس أن يجعل جميع المذاهب مذهباً واحداً، حتى لا يبقى من المذاهب المختلفة أثر، ويصبح المسلمون على مذهب واحد، بل إن الغاية منه هو أن يسود بين المذاهب الإسلامية تعاون وثيق وتفاهم، وتقارب يزيل الشك، ويؤكد صدق النوايا، ويعبر عن الأخوة الإسلامية، ويعمل على وحدة الكلمة ونبد الفرقة، وألا يكون الخلاف في الرأي بين الفقهاء سبباً للعداء والبغضاء.<sup>(٩)</sup>

يقول السبحاني في هذا الصدد: "المراد من التقارب هو التقارب بين القادة للمذاهب وبالتالي بين القادة وأتباعهم، وذلك من خلال رسم الخطوط العريضة المشتركة التي تجمع المذاهب الإسلامية في مجالي العقيدة والشريعة، وأنه لو كان هناك خلاف فيهما فهو بالنسبة إلى الأمور المتفق عليها قليلاً جداً... فاللازم على المسلمين في هذه اللحظات الحاسمة، التمسك بالعروة الوثقى وبجبل الله المتين والانظواء تحت المشتركات وإرجاع الاختلافات إلى المدارس والمحافل العلمية التي يكثر فيها البحث والجدال، وفي النهاية يخرجون منها إخوة متحابين .

هذا هو الذي يدعو إليه دعاة التقارب، وهو عدم إفناء مذهب في مذهب، بل إلفات أنظار القادة إلى المشتركات المتوفرة بين المذاهب، وترك الاختلافات إلى المدارس ومراكز البحث التي لا يضر الخلاف فيها بالوحدة وجمع الشمل".<sup>(١٠)</sup>

ثانياً: المذهب في اللغة والاصطلاح

١. المذهب لغة:

المَذْهَبُ مصدر، كَالذَّهَابِ، وَالْمَذْهَبُ: الْمُعْتَقَدُ الَّذِي يُذْهَبُ إِلَيْهِ؛ وَذَهَبَ فَلَانٌ لِدَهْبِهِ أَي لِمَذْهَبِهِ الَّذِي يُذْهَبُ فِيهِ، وَيُقَالُ: ذَهَبَ فَلَانٌ مَذْهَبًا حَسَنًا<sup>(١١)</sup>، وَهُوَ الطَّرِيقَةُ وَالْأَصْلُ<sup>(١٢)</sup>

٢. المذهب اصطلاحاً:

عُرِّفَتْ لَفْظَةُ الْمَذْهَبِ بِتَعْرِيفَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَمُخْتَلِفَةٍ، وَهَذِهِ التَّعْرِيفَاتُ لَمْ تَخْرُجْ فِي مَضْمُونِهَا عَنِ الْمَعْنَى اللُّغَوِيَّةِ وَهُوَ الطَّرِيقُ أَوْ الْأَصْلُ، فَقَدْ عُرِّفَ بِأَنَّهُ:

أ. العمل الفكري المستند إلى الدليل الشرعي من الكتاب والسنة والإجماع والقياس أو غيرها من الأدلة المبنية على قواعد وأصول أقرها الفقهاء والعلماء فيما ورد من مسائل العادات وقضايا المعاملات، ودرسوها وقلبوها واستخلصوا منها ما رأوه صحيحاً وصالحاً للعمل به لأنفسهم أولاً، ولمن اقتنع بدليل اجتهادهم، وذلك ما ورثوه للأجيال من بعدهم كنوزاً ثمينة أغنت الفكر الإسلامي.<sup>(١٣)</sup>

ب. طريقة تعبد واستنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية، ويختص المذهب بعقائد وأصول تميزه عن غيره.<sup>(١٤)</sup>

ج. الاتجاه الذي سار عليه كل إمام من أئمة الاجتهاد في استنباطهم للأحكام، من حيث اعتمادهم على الرأي أو على النصوص، أو عليهما معا.<sup>(١٥)</sup>

ويتضح أن لفظ المذهب يتمظهر بأشكال عدة وبحسب ما يضاف إليه، وبحسب مسار البحث فإن هذا اللفظ يطلق ويراد به ذلك الاتجاه الفكري الذي يسير عليه العلماء والأئمة من الفقهاء والمتكلمين، مستندين فيه على الأدلة النقلية والعقلية من النصوص الدينية من الكتاب الكريم والسنة المطهرة، وعلى غيرها من الأسس والقواعد المعمول بها في علم الفقه والأصول.

المطلب الثاني: أهمية التقريب بين المذاهب الإسلامية

تنطلق أهمية التقريب بين المذاهب الإسلامية من مكارم الشريعة الغراء، ومن مدلولات التشريع، وأهدافه الرامية إلى توحيد كلمة المسلمين وفق الأمر الإلهي الذي أعربت عنه

الآية المباركة: {واعتصموا بحبل الله ... فانقذكم منها}، وغيرها من الآيات الكريمة التي دلت على جوب الاعتصام بالسبل المنجية من التمزق والتشردم، والحائثة على هدي الله السليم ونهجه القويم.

كما تنطلق هذه الأهمية من مقتضيات حال المسلمين وواقعهم، ومما تحتمه مصلحتهم المشتركة من جوب التعاون والتآزر، الامر الذي استدعى وبشكل محكم ومنظم وضع سبيل التقارب في إطار مشروع حضاري استمد فلسفته من ضرورة دينية، ورؤية موضوعية تستهدف مصلحة المسلمين في الحال والمآل.

ومن هنا تأتي ضرورة مواصلة الجهد والعمل من أجل التقريب، لاسيما وان المسلمين اليوم أشد ما يكونوا احتياجاً إلى ذلك؛ إذ من شأنها أن توصل بالعمل الإسلامي إلى ترسيخ مبدأ التآلف والتقارب، ونبذ الاختلاف بأسهل السبل، وأيسر الأساليب؛ ليصبحوا كما أراد الله سبحانه إذ قال: {خير أمة أخرجت للناس}، أخوة في الله متحابين غير متفرقين ولا متنازعين، ينعمون بوحدة التشريع، ويرفلون في حلل الدين القويم.<sup>(١٦)</sup> لذا فإن مسألة التقريب ليست بمستعصية الحل ولا صعبة المنال، خصوصاً وأنها قد ارتكزت على أسس ومبادئ رئيسة، وإن من شأن التقارب بين المذاهب الإسلامية أن يضيق هامش الفرقة بين أتباعها، وأن يقوي اللحمة الإسلامية ويجذرهما في قلوب المسلمين، وبغياب ذلك كله فإن المشكلات الاجتماعية تتضاعف وتتكاثر الاضطرابات الفكرية، ويختل الأمن الاجتماعي والاقتصادي، وتتسع رقعة الاختلافات.

ومن هنا يتبين أن التقريب يعد أحد مرتكزات الاستقرار الشامل، الذي تشتد حاجة الأمة إليه؛ لتحقيق حياة إسلامية أرغد، وعيش إيماني أهنأ، في جو من التكامل والتعاقد والتناصر، مما سيتيح للأمة الإسلامية أن تجد لها مكانها في الحياة المعاصرة، وتتمكن بتقاربها وتكاملها من الحفاظ على ذاتيتها وهويتها، وتستطيع أن تقي نفسها ومقدراتها ومستقبلها من أي هيمنة، لاسيما وأن لديها من المقومات الحضارية والتاريخية والتشريعية والإنسانية، مما ليس لدى غيرها من الأمم.<sup>(١٧)</sup>

فضلاً عن أن التقريب بين المذاهب الإسلامية يعد عاملاً مهماً في تضييق رقعة الخلافات والحد من انتشار ظاهرة التعصب المفضية إلى التفرقة والفتن، وجسراً متيناً لترسيخ قيم الائتلاف والتسامح واتباع صراط الرشاد الهادي إلى تماسك الأمة وتدعيم عناصر وحدتها، وهو ما أكده المنهج الإلهي في قوله تعالى: {وَأَنْ صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا}،، لعلكم تتقون}. ﴿الأنعام: ١٥٣﴾ .

إنّ عملية التوفيق بين الانتماءات أمر ممكن إلى حد بعيد، فالمحبة "تبتدئ بمحبة الأسرة والعشيرة، ثم الجماعة، ثم الوطن، ثم الجماعة الكبرى في الإسلام، ولا تلغي الدرجة العليا ما دونها، ولكن المنهي عنه المحبة التي تؤدي إلى الفرقة والانقسام، وتحرض على الظلم، وهي العصبية الجاهلية"<sup>(١٨)</sup>.

كل هذا يؤكد على حقيقة لا بد من الالتفات إليها في مسألة التقارب، وهي تحويلها من حالة الشعارات والعواطف والمشاعر المحبوبة إلى عمل هادف له مبرراته ومجالاته الواضحة؛ لأن الوحدة الإسلامية ليست مجرد رغبة أكيدة وأمل كبير وحسب، بل هي عمل واجب من الناحية الشرعية والإسلامية، وفي الوقت نفسه ضرورة من ضرورات الحياة الإسلامية، وشرط من شروط القدرة على المواجهة في الصراع الحضاري.

ومن هنا يمكن إبراز جملة مبررات تؤكد على التقريب وتحت عليه، من أهمها:<sup>(١٩)</sup>

١. إن الوحدة الإسلامية توفر القدرة الحقيقية التي يمكن أن يستند إليها المسلمون في صراعهم الحضاري - بعد الله سبحانه -، فإن الأمة الإسلامية وإن كانت تمتلك طاقات بشرية كبيرة وإمكانات مادية هائلة، ومواقع استراتيجية هامة، وروح معنوية عالية، وحضارة ونظرية عقائدية وفكرة متكاملة في نظريتها للحياة، ولكن بدون الوحدة بين أطرف المسلمين سوف تتحول - كما هي الآن - إلى مجرد فريسة للأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، الذين يمتلكون كل الدوافع للنيل من هذه الأمة المباركة، أو تتحول الأمة إلى إفراغ طاقاتها في الصراعات الداخلية والجانبية بعيداً عن الأهداف الحقيقية لها.

٢. إن الوحدة الإسلامية يمكنها أن توفر فرصاً كبيرة وواسعة للبحث والتقصي والاجتهاد للنظرية الإسلامية بما يخدم مواجهة التحديات الفكرية والنظرية، ومعالجة المشكلات الإنسانية التي خلقتها الحضارة المادية والتطور العملي والمدني، فإن مثل هذا التطور في الأبحاث والدراسات والفهم إنما يمكن أن يحصل في ظل الاستقرار والتفاهم وحرية الرأي واحترامه، وتكامل الجهود بعضها إلى بعض الآخر.

٣. إن الوحدة الإسلامية يمكنها أن توفر فرص التطوير والنمو في العالم الإسلامي على المستويين المادي والمعنوي، وبذلك يمكن للنظرية الإسلامية أن تثبت من خلال تحقيق النموذج الاجتماعي الإسلامي القدوة والمتطور، القادر على حل المشكلات الاجتماعية؛ فإن التكامل الاقتصادي والسياسي والثقافي والروحي والاجتماعي بين أطراف الأمة الإسلامية وإمكاناتها المتوزعة سوف يحقق ذلك إلى حد بعيد.

٤. إن التقريب بين المذاهب الإسلامية يرفع الجهل والعصبية والحمية الجاهلية عمن انصرف عن الدين الحنيف، وانشغل بالتفريق بين المسلمين، وبرجعه إلى الاعتدال والتعايش السلمي في مظلة واحد وهي مظلة الدين الإسلامي الواحد.

٥. إن الوحدة الإسلامية تقطع الطريق على أعداء الإسلام وإفشال مخططاتهم التي ترمي إلى تفكيك الأمة الإسلامية، ومن ثم الاستيلاء على مقدراتها. وبذلك يمكن للوحدة الإسلامية أن تساهم في خدمة الإنسانية والتطور الحضاري للبشرية جمعاء، في الوقت الذي تحقق فيه أهدافها على مستوى الأمة الإسلامية.

### المبحث الثاني

الأسس العلمية والفكرية للتقارب - سبل التقارب وموانعه-

المطلب الأول: الأسس العلمية والفكرية للتقارب بين المذاهب الإسلامية  
ترتكز مسألة التقارب بين المذاهب على أمرين مهمين:

#### ١. الأسس العلمية للتقارب

إن موضوع التقارب يتأتى بكل منطقية ووضوح إذا لوحظت الأسس الآتية، والتي تؤمن بها كل المذاهب الإسلامية من دون استثناء، وهي:

أ. الإيمان بأصول الإسلام العقائدية الكبرى وهي: التوحيد الإلهي (في الذات والصفات والفعل والعبادة) وبالنبوة الخاتمة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والقران الكريم الذي جاء به وما فيه، والمعاد يوم القيامة.<sup>(٢٠)</sup>

ب. الالتزام الكامل بكل ضروريات الإسلام وأركانه من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من الأفعال العبادية.<sup>(٢١)</sup>

ج. الالتزام الكامل بأن كتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران الأساسيان لمعرفة رأي الإسلام في شتى الأمور: المفاهيم (عن الكون والحياة والإنسان: ماضيه وحاضره ومستقبله في الحياتين) والأحكام والشريعة التي تنظم حياته وسلوكه الفردي والاجتماعي، أما الأصول والمصادر الأخرى كالعلل والقياس والاجماع وأمثالها فهي لا تملك أية حجية إلا إذا استندت إلى ذينك المصدرين الكريمين (الكتاب الكريم والسنة المطهرة) واستمدت مصدريتها منهما.<sup>(٢٢)</sup>

فإذا ثبت عدم الاستناد إليهما فضلاً عما إذا ثبتت مخالفة الرأي أو المنقول عنهم للكتاب والسنة فإنهما يُرفضان لا محالة، وقد صرح أئمة المذاهب جميعاً بهذه الحقيقة بوضوح، وأنهم يستقون من هذين المصدرين لا غير، فقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت (عليهم السلام) تؤكد ذلك من قبيل قول الإمام الصادق (عليه السلام): "كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة"<sup>(٢٣)</sup>، ويقول مالك بن أنس: "إنما أنا بشر أصيب وأخطئ فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة"<sup>(٢٤)</sup>، ويصرح الشافعي بما يقرب من هذا، إذ يقول: "إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط"<sup>(٢٥)</sup>.

د. الالتزام بأن الإسلام سمح لعملية الاجتهاد كونها عملية (بذل الوسع لاستنباط الحكم الشرعي من مصادره) أن تكون هي الموصلة لمعرفة الإسلام، كما انها تلعب دورها في التأكيد على مرونة الشريعة وقدرتها على استيعاب التطورات الحياتية طبقاً لمعايير وضوابط معينة، وهذا يعني بالضرورة إمكان إيجاد الصلة بين مختلف النتائج التي يؤدي إليها الاجتهاد وبين الإسلام حتى لو كانت مختلفة ومتضادة فيما بينها؛ وذلك

لاختلاف الأفهام وزوايا النظر والقناعات، وهو ما يدرس تحت عنوان (أسباب اختلاف الفقهاء). (٢٦)

والاسلام إذ سمح بذلك فلأنه دين واقعي فطري، فلا طريق لمعرفة أية شريعة ممتدة على مدى عصور ينقطع وحيها ويموت معصومها إلا عن طريق الاجتهاد، على الرغم من أن هذا الطريق قد يبتلى أحياناً بالذاتية، ويفرز آراءً متخالفة قد لا يطابق بعضها واقع المراد الإسلامي في علم الله تعالى، وهذا لعله هو الأسلوب المنطقي الذي يعم استنباط كل الأمور كالعقائد والمفاهيم والأحكام، بل وحتى المواقف الإسلامية من بعض القوانين الوضعية.

هـ. إن مبدأ (الوحدة الاسلامية) يعبر عن خصيصة مهمة من خصائص هذه الأمة المباركة، وبدونها لا يمكن لها ان تدعي اكتمال هويتها، وقد وضع الإسلام خطة متكاملة لتحقيق هذه الوحدة، بانياً لها على أساس الاعتصام بمجبل الله المتين (وهو كل سبيل معصوم يوصل إلى الله تعالى)، ومؤكداً على وحدة الأصل والخلق ووحدة الهدف ووحدة الشريعة والمسير، داعياً إياها لدخول الجميع في إطار التسليم الكامل لله عز وجل، ونفي خطوات الشيطان، ومذكراً بآثار الوحدة، وغارساً المثل الأخلاقية وعناصر التضحية بالمصالح الضيقة في سبيل الهدف العام، حاذفاً كل المعايير الممزقة كاللغة والقومية والوطن والعشيرة واللون، مركزاً على المعايير الإنسانية كالعلم والتقوى والجهاد، ومؤكداً على لزوم تحري نقاط اللقاء وداعياً إلى استخدام المنطق السليم، منطلق الحوار الهادئ الموضوعي. (٢٧)

و. إن مبدأ الأخوة الإسلامية هو الذي ينظم مجمل العلاقات الاجتماعية في الإسلام، وإن آثاره لا تقتصر على الجوانب الأخلاقية فحسب، بل تتعداها إلى الجوانب التشريعية، وتترك أثرها الكامل على عملية الاجتهاد نفسها، لكي لا تشهد أحكاماً في الساحة الإسلامية تتناقض معه.

هذه الأسس وغيرها هي من أهم ما يمكن ان تبني عليه حركة التقريب، فيكاد التصديق بالأسس يؤدي بشكل منطقي عفوي للإيمان بهذه الحركة. (٢٨)

لذا فإن التقريب لا يقتصر على الجوانب الأخلاقية ولا على الشعارات، ولا يتحدد بالجوانب التشريعية أيضاً، بل يعبرها إلى مختلف الجوانب الفكرية والحضارية، ويلزم ذلك النخب المفكرة الفقهية والفكرية، بل يمتد ذلك إلى النخب المفكرة من الجماهير عبر تثقيفها بثقافة التقريب؛ لأن الإسلام إن كان يسمح بالاختلاف الفكري غير المخرب والطبيعي، فإنه لا يسمح مطلقاً بأدنى خلاف في الموقف العملي من القضايا المصيرية الداخلية والخارجية، ولذلك يعد الراد على الحاكم الشرعي (وهو الجهة التي يفترض بها أن تكون الموحدة للموقف العملي للأمة) راداً على الله بعد أن اقترنت طاعته بطاعة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).

## ٢. الأسس الفكرية للتقارب

وتتضح هذه الأسس في المظاهر الآتية:

### أ. التقريب على مستوى العقيدة.

من المعلوم أنه لا بد للأمة الواحدة أن تكون لها أصول اعتقادية واحدة، وهذه الأصول لدى الأمة الإسلامية – بإجماع كل علماء المذاهب – التوحيد والنبوة والمعاد، وإنكار واحد منها أو عدم الإيمان به يخرج الفرد من دائرة الإسلام بإجماع العلماء وبنص القرآن الكريم والسنة المطهرة، وإذا كانت ثمة أصول أخرى فهي من أصول المذهب لا من أصول الدين، كالإمامة لدى الشيعة والعدل لدى الشيعة والمعتزلة، فالاعتقاد بهذه الأصول الثلاثة كافٍ لإيجاد وحدة عقائدية بين أبناء الأمة الإسلامية. (٢٩)

### ب. التقريب على مستوى العمل والاتباع

إن كلمة الأمة تنطوي على معنى الاتباع، والاتباع يكون في الأصول والفروع، والمقدار الضروري من الإيمان بالأصول مما يستلزمه الإسلام في وحدته هو (التوحيد، النبوة، المعاد)، ولا بد من اتباع المنهج الإسلامي في الفروع بمقدار ما اتفقت عليه جميع المذاهب الإسلامية وفرضه الكتاب وأوجبته السنة المطهرة بوضوح ومن دون أي إيهام. ولا يوجد مذهب من المذاهب الإسلامية المعروفة ينكر الصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد وغيرها.

لذا فإن الحد اللازم لدخول الفرد في دائرة المسلمين ولتحقيق الوحد الإسلامية هو الالتزام بالحد المتفق عليه في هذه الفروع، أما شروط وآداب هذه الاعمال المختلف عليها بين المذاهب فلا دخل لها في الحد اللازم المذكور؛ لأنها ناشئة من اجتهاد المجتهدين، والاختلاف فيها لا يضر بإسلام الفرد ولا بوحدة المسلمين.<sup>(٣٠)</sup>

يقول التسخيري في هذا الصدد: "لتحقيق هدف التقريب نسلك السبل الآتية:

١. بذل الجهود والمسعى لتعرف علماء المذاهب بعضهم على بعض الآخر.
٢. كشف المجالات المشتركة، ثم بذل الجهود لتنمية هذه المجالات، قال تعالى: { تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم... }، فالآية المباركة ترشدنا إلى الحوار بين الأديان، فبطريق أولى يلزمنا اكتشاف المجالات المشتركة بين المذاهب الإسلامية.
٣. بذل المساعي والنشاطات الحميدة في سبيل توسعة وترويج عوامل الوحدة وإزالة أسباب الاختلاف وعوامل الفرقة.
٤. العمل لإزالة الحواجز النفسية بين أتباع المذاهب التي أفرزتها المقولات التاريخية من جهة ودسائس العدو من جهة أخرى.
٥. التقريب بين جماهير المسلمين.<sup>(٣١)</sup>

ج. التقريب في وحدة القيادة

إن من المعاني التي تعطيها كلمة الأمة هي القيادة، والاتباع الذي تقدم الحديث عنه يستلزم القيادة، وللقيادة مصداقان: أحدهما صامت خالد، والآخر حي متغير، فالقيادة الصامته هي بإجماع المسلمين كتاب الله وسنة رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا يوجد بين المذاهب الإسلامية من ينكر قيادتها، وهما دعامتان هامتان لوحدة المسلمين.

ودين الفطرة حين يؤكد على ضرورة إجماع المسلمين على القرآن والسنة فإنه يجيز الاختلاف فيهما في حدود خاصة، والاختلاف فيهما له مجالان:<sup>(٣٢)</sup>

الأول: اختلاف المجتهدين في مفهوم ومنطوق الكتاب والسنة وفي حدود وشروط حجيتهما، وهذا الاختلاف لا يتعارض مع اصل اتفاق المسلمين على حجية الكتاب والسنة.

الثاني: الاختلاف في الصدور ويرتبط بالسنة فقط؛ لأن صدور جميع الأحاديث المروية غير قطعي، فرب رواية صحت في نظر عالم ولم تصح في نظر عالم آخر، ولا يصدق ذلك على الكتاب الكريم؛ لتواتر جميع ألفاظه وآياته، والاختلاف إنما هو في دلالته؛ كونه ظني الدلالة. (٣٣)

والاختلاف بين المذاهب في سنة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما هو اختلاف في المقدمة الصغرى لا الكبرى - على حد تعبير المنطقيين -، فالفريقان متفقان على حجية السنة وانها واجبة الاتباع كالقرآن الكريم، والاختلاف في أن هذا القول هل هو من السنة أم لا.

أما القيادة الحية المتحركة فتتمثل أولاً في شخص القائد الأول وهو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فهو فضلاً عن إمامته الدينية هو قائد المجتمع الإسلامي وزعيمه السياسي، وكل المسلمين يؤمنون بذلك. (٣٤)

وقد ظهر الاختلاف بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال قوم من أهل الجمهور أن الإمامة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أم سياسي لا ديني، وقال أكثرهم أنها منصب ديني، لكنهم لم يجهلوا ضمن أصول الإسلام، والشيعية على العكس من ذلك؛ إذ آمنوا أن القيادة بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يجب أن ستواصل فيها ما كان موجوداً في شخص القائد الأول من الجمع بين السمة الدينية والسياسية، وواعدوا الإيمان بها أصلاً من أصول المذهب، فهي في رأيهم تتواصل عبر الأئمة الاثني عشر قم الفقهاء الذين تتوفر فيهم شروط التقوى. (٣٥)

لذا فالقيادة في المفهوم الإسلامي تجمع بين السياسة والدين، ومن أركان الدين، ولها الدور الهام في استمرار الدعوة الإسلامية واستتباب حاكمية الدين في وحد الأمة الإسلامية.

د. التقريب من حيث وحدة الهدف

تشكل وحدة الهدف مثل وحدة العقيدة ووحدة العمل ووحدة القيادة أصلاً إسلامياً هاماً، غير أنها وردت في النصوص الإسلامية بلغة التوجيهات الأخلاقية، ولغة الحث على اكتساب المكارم والفضائل، لكنها لغة فيها تأكيد على أهمية الهدف وعلى عدم افتراق الهدف عن المسؤولية المشتركة، قال تعالى: { كنتم خير أمة أخرجت... وتؤمنون بالله } (٣٦).

" والمتفق عليه في مختلف المجالات كثير جداً، فللمذاهب الإسلامية مساحات مشتركة كثيرة سواء كانت في الأصول العقائدية أو في المجالات التشريعية أو في المجالات الأخلاقية، وكذلك في مجال المفاهيم والثقافة الإسلامية، وحتى في المسيرة التاريخية والحضارية". (٣٧)

فامتياز هذه الأمة وأهم خصائصها مسؤولية الدعوة والإيمان بالله؛ ولأهمية هذه المسؤولية قدمها على الإيمان بالله سبحانه، ويمكن تلخيص أهداف الإسلام والمسؤوليات المشتركة التي يحملها المسلمون لبلوغ هذه الأهداف ما يأتي:

١. الفلاح والفوز في الدارين وكسب رضا الله سبحانه، فعبرة { لعلمكم تفلحون } تتكرر في القرآن بعد كثير من الأوامر والتعليمات. (٣٨)

٢. استتباب حاكمية الدين في الأرض: { وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ } (٣٩)، { لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ } (٤٠).

٣. استتباب حاكمية عباد الله الصالحين في الأرض: { وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ } (٤١)، { وَنَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ } (٤٢).

٤. السعي لإشاعة الخير والمعروف، وإزالة المنكر والشر والفساد، وآيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنحو هذا الاتجاه.

٥. إنقاذ المستضعفين المحرومين، قال تعالى: { وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ } (٤٣).

٦. فتح مغاليق أسرار الخليفة للتعلم في فهم عظمة الخالق، وهذا الهدف يذكره القرآن لدى حديثه عن عظمة الكون وعجائب الطبيعة. (٤٤)

٧. إزالة الفتنة من الأرض: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } (٤٥).

٨. تنمية الإحساس بالمسؤولية المشتركة الإسلامية، والاهتمام بأمر المسلمين، المواصلة بينهم، واتحادهم مقابل الأعداء، "من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم" (٤٦)، و"المؤمنون إخوة تتكافى دماؤهم وهم يد واحدة على من سواهم" (٤٧)، وأمثالها من الروايات المشهورة التي تخلق هذه المشاعر الإنسانية.

٩. إحلال روح الأخوة الإسلامية بين المسلمين، حتى أن الفرد المسلم يتمنى لغيره ما يتمناه لنفسه، وأن المؤمنين بمثابة نفس واحدة: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } (٤٨).

هـ. التقريب من حيث وحدة الخصال ومكارم الأخلاق  
إن المجموعة البشرية المشتركة في عقائدها وأعمالها وأهدافها وقياداتها تشترك أيضاً في الخصال والملكات النفسية، وكثير من النصوص تبين هذه الوحدة الأخلاقية والاشتراك الروحي بين المسلمين حين تتحدث هذه النصوص عن صفات المؤمنين مثل الصدق والأمانة والوفاء بالعهد وعفة البطن والفرج وأمثالها، لا يمكن أن يتوقع بلوغ المسلمين جميعاً مستوى واحداً في هذه الخصال، كما أنهم لا يرتفعون إلى مستوى واحد من العقيدة، ولكن ثمة طابعاً مشتركاً يسود كل أفراد المسلمين في هذا الجانب. (٤٩)

و. التقريب في عنصر الوحد الثقافية

إن الاشتراك في العناصر التي تقدم ذكرها يستتبعه اشتراك في ثقافة توحد بين أبناء العالم الإسلامي، إذ أن الثقافة المشتركة تشكل أكبر رصيد للتفاهم والتلاحم والتعاقد والإحساس بالأخوة والانتماء والواحد؛ ولأجل ذلك يسعى أعداء الأمة إلى إزالة هذا المشترك الهام بين المسلمين عن طريق المسخ والغزو.

## الأسس المشتركة

لما كانت الأسس المتقدمة تؤدي بطبعها للتقارب بين المذاهب الإسلامية، فإنها بطبعها أيضاً تصوغ نفسية المسلمين جميعاً، وتشكل الأرض المناسبة الواحدة لثقافتهم، ولذا لا نجد بين المسلمين - أينما كانوا ومهما اختلفت قومياتهم ومناطقهم وخلفياتهم التاريخية ولغاتهم وعاداتهم المحلية - فرقاً في الثقافة العامة.

فالثقافة هي الفكر والعمل الفردي والاجتماعي، وهما أمران يصوغهما الإسلام ويطبعهما بطابع إنساني لا يتغير إلا بتفاصيله، ومن هنا يلاحظ أن ثمة أسساً مشتركة يمكن أن تصوغ تقارباً ملموساً بين المذاهب، وهذه الأسس هي:

١. إن الفكر الإسلامي أينما كان يتميز بالإلهية والاتجاه نحو الله تعالى في كل الحالات، والتوكل عليه واستمداد الهدى منه.

٢. إن الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية للمسلم تتشكل بمقتضى التعاليم القرآنية، حتى إن المسلم العادي في مختلف أحواله وبمستوى ثقافته يتمتم بالآية الكريمة أو الحديث الشريف ليفسر وضعه الذي يعيشه من نعمة أو بؤس أو فرح أو حزن.<sup>(٥٠)</sup>

٣. إن الحياة التعبدية بالمعنى الأخص للعبادة واحدة في الشكل والمضمون واللغة وإن اختلفت اللهجات.

٤. وحدة المشاعر والأحاسيس والعواطف تجاه المفاهيم والحوادث.<sup>(٥١)</sup>

٥. وحدة الطرق العامة للعيش، المأكل والملبس والسلوك الفردي والاجتماعي، وإن اختلفت التفاصيل.

٦. الشعور العام لدى المسلمين بالترابط الكوني والتشريعي، فالظلم نتيجه الانهيار الحضاري، والشكر نتيجه الرخاء والعزة مثلاً.

٧. التوازن العام في الشخصية لدى المسلم فلا هو جبيري، ولا هو نفويضي، بل هو يدرك أنه مسؤول عما يفعل، فهو حر، ولكنه يدرك أيضاً الإرادة الإلهية في مسيرته العامة.

٨. الإيمان الفردي بالواجبات الاجتماعية تجاه المسلمين جميعاً، والإيمان الاجتماعي تجاه كرامة الفرد.

٩. الإيمان بالفطرة الإنسانية وتميز الإنسان عن الحيوان والجمادات، مما ينتج مقولات إنسانية كالحق والخلق والعدالة، ويفرزها عن الحياة الحيوانية.<sup>(٥٢)</sup>

المطلب الثاني: الموانع والعقبات في طريق التقارب

تقدم في المطلبين السابقين عرض للأسس العلمية والفكرية للتقارب، وكذلك سبل تحقيق تلك الأسس، غير أن ذلك لا يعني تحقق التقارب بشكله الذي يُطمح حصوله؛ إذ ثمة موانع وعقبات تعترى مسألة التقارب بين المذاهب لا بد أخذها بنظر الاعتبار، بل والعمل على تذويبها وحلها؛ كونها تقف عائقاً حقيقياً أمام موضوع التقارب بين المذاهب الإسلامية،

لقد أثمرت جهود العلماء والمفكرين والمصلحين اتجاهاً عاماً نحو التقارب بين المذاهب الإسلامية، وميلاً عاماً نحو تغليب لغة الحوار المنطقية، وترجيحها على أي لغة أخرى انسجاماً مع توجهات الإسلام الأصيلة وتناغماً مع الميل العالمي نحو الأسلوب فيما بين الحضارات والثقافات والأديان.<sup>(٥٣)</sup>

وكل النصوص الإسلامية والمفاهيم والأحكام الشرعية تدفع نحو اعتماد هذا الأسلوب مما يفسح المجال نحو تحقق مثل هذه النتيجة، ومع هذا يلزم تعميق هذه التوجهات نحو التقارب في الأذهان والنفوس؛ لأنه اتجاه علمي ونفسي وخلق في آن واحد.

يقول محمد حسين فضال الله: "إننا لا نعتقد أن مشروع الوحدة الإسلامية ورسالة التقريب بين المذاهب الإسلامية غير قابلة للتطبيق والتحقق على المستوى العملي، فقد استطاع هذا المشروع أن يشق طريقه في كثير من محطات التاريخ الإسلامي وفي الحاضر، وكان سلاحه في النجاح الثقافة القرآنية والنبوية التي تؤكد على الأخوة الإسلامية وعدم التنازع عند الاختلاف، والتأكيد على القواسم المشتركة والاعتصام بجبل الله وأهدافه كسبيل للنجاة".<sup>(٥٤)</sup>

فالإنسان يريد أن يتعالى على خلافه في الرأي، ويتغاضى عما يرتبه هذا الخلاف من مقتضيات التنوع في السلوك وصولاً إلى الموقف الموحد من التحديات الكبرى التي تواجهها الأمة، وتستلزم عملية التعميق القيام بكل ما من شأنه تحويل الرغبة في التقارب ومن ثم التفاهم إلى ملكة وخلق اجتماعي أصيل وعام؛ بحيث يعد معه كل صوت تبعيدي حالة نشازاً وخروجاً على الجماعة.

ولا يتحقق هذا الهدف إلا إذا قام العلماء والمفكرون بعملية الاستيعاب الكامل للفكرة أولاً ودراسة تاريخها وآثارها في مسيرة الأمة التاريخية والحضارية، وتوعية الجماهير بنها بآثارها، ونقل الفكرة إلى الممارسة العملية اليومية المستمرة حتى تتحقق تلك الملكة وسيود ذلك الخلق المطلوب.

ولأجل تحقق كل ذلك لا بد من أن تضع الأمة نصب عينها جملة من الموانع والعقبات التي تقف في وجهها ذلك الهدف السامي وهو تحقيق التقارب فيما بين الأمة، ومن أهم تلك الموانع والعقبات:

#### ١. العوامل الخارجية

إن أعداء الأمة يخلقون - على الدوام - كل الظروف التي تؤدي إلى تمزيق هذه الأمة، ويقفون في وجه كل ما يعمل لتوحيدها، فالاستعمار الغربي عمل خلال فترة احتلاله للعالم الإسلامي اعتمد سياسة ثلاثية تستهدف:

أ. إبقاء الأمة على تخلفها العملي والاقتصادي والثقافي والتعليمي وغير ذلك.

ب. إشاعة الفكر العلماني الغربي على الروح الإسلامية في العالم الإسلامي، إلى جانب تحريك النزعات القومية والعنصرية، غير ان ذلك مما يمكن زواله بشكل سريع، وهذا ما أسماه بعض الكتاب بـ(النصر سريع الزوال للعلمانية ١٩٣٠-١٩٧٠).<sup>(٥٥)</sup>

ج. تمزيق العالم الإسلامي إلى دويلات وشعوب متفرقة، وتحريك النزعات المذهبية الجغرافية والقومية العنصرية حتى التاريخية؛ خوفاً من هاجس الوحدة الإسلامية الذي يجري الحديث عنه، والتخوف منه باستمرار من قبل القادة والمفكرين الغربيين، ويتم التنظير لصراع دائم مع العالم الإسلامي على أساسه، يقول الكتاب والمؤرخ جون

بوشان في روايته (العباءة الخضراء) (The Green Mantle): "الإسلام عقيدة قتالية، إذ لا يزال الشيخ يقف في المحراب حاملاً القرآن باليد والسيف المشهور في اليد الأخرى، فإذا افترضنا أن هناك أملاً بالخلاص يعيد الروح حتى إلى الفلاحين في المناطق النائية ويدغدغ أحلامهم بالجنة، فماذا سيحدث يا صديقي؟

ستفتح جهنم أبوابها في هذه الأرجاء عما قريب، لدي تقارير من العلماء في كل مكان: صغار التجار في جنوب روسيا، وتجار الأحصنة في أفغانستان، والتجار التركمان، والحجاج إلى طريق مكة، والأشراف في شمال أفريقيا، ولا بسو جلود الغنم من المغول، والفقراء الهندوس، والتجار اليونانيون في الخليج، فضلاً عن القناصل المحترمين الذين يستخدمون الشيفرة، هؤلاء جميعاً يجمعون في رواياتهم التي يرسلونها إلي على الأمر نفسه: إن الشرق في انتظار إشارة إلهية، وإنهم موعودون بها، قد تكون تلك الإشارة هي خروج نجم (رجل)، أو نبوة جديدة، أو تأمر ما".<sup>(٥٦)</sup>

## ٢. المصالح الشخصية لبعض الزعماء والحكام

وهذا الأمر مشهور معروف على مدى العصور، إذ لم تخلُ حقبة من ذلك، فيستغل هؤلاء نفوذهم ليشيروا عامة الناس لتحريك الإحن والنزاعات الطائفية، يقول أحد الكتاب المؤرخين واصفاً بعض حروب الطوائف بتحريك من السلطات الحاكمة: "وكانت لا تمر سنة دون عنف بين ما وصف بفرق السنة وفرق الشيعة في سائر أرجاء المنطقة العربية الإسلامية، فقد تولى الترك عام (٥٢٤٩) عمليات القمع الطائفي ضد الشيعة... وكان أكثر الضحايا من منطقة الشاكرية ببغداد، وبتيجتها هوجم السجن المركزي وأحرق أحد الجسرين الواصلين بين جانبي الكرخ والرصافة"<sup>(٥٧)</sup>، وهكذا دور حكومات الطوائف في تحريك الفتن والاقتيال الطائفي.

## ٣. التكفير

وهذه الظاهرة من أهم العقبات التي تقف بوجه التقارب بين المذاهب الإسلامية، وعلى الرغم من أن الإسلام وضع تماماً الحدود الفاصلة بين الكفر والإيمان وحددها، غير أن هذه الظاهرة لا زالت تحدث إلى عصرنا الحاضر، فقد روى البخاري بسنده عن عبادة

بن الصامت عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل" (٥٨). وروى الكليني بسند عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أخبرني عن الاسلام والايان أهما مختلفان؟ فقال: " إن الايمان يشارك الاسلام والاسلام لا يشارك الايمان، فقلت: فصفهما لي، فقال: الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله (صلى الله عليه وآله)، به حققت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث وعلى ظاهره جماعة الناس". (٥٩)

ونجد أن القرآن الكريم ربي الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأتباعه على التعامل العقلاني والحوار المنطقي والقبول بالتعددية الاجتهادية إذا كانت على أسس شرعية منضبطة، ومن ثم تعامل الأمة على أساس ذلك لا سيما في عصر الأئمة (عليهم السلام)، إذ قدموا (عليهم السلام) أروع الصور المنطقية وربوا أتباعهم على ذلك، ولكن العوامل الكثيرة الأخرى قادت إلى عودتها من جديد، ولعل من أسباب عودتها هو بمؤاخذة الآخر بلوازم كلامه، على الرغم من أن الآخر لا يؤمن بهذه الملازمة مطلقاً. وبعد مضي عصر الأئمة (عليهم السلام) دبّت ظاهرة التكفير بوتيرة أوسع وأسرع في صفوف المسلمين، مثل الاختلاف في أن (الصفات عين الذات أو أنها زائدة على الذات) و (التحسين والتقيح هل أنهما عقليان أو شرعيان)؛ إذ رأى الطرفان المتنازعان أن الطرف الآخر يقوده رأيه إلى الكفر، وهكذا في مطالب كثير، كالتوسل والشفاعة والبداء، بل وحتى الاستحسان والمصالح المرسلة والقياس، وغيرها. (٦٠)

وزاد الأمر سوءاً - خصوصاً في أزماننا المتأخرة - الدخول في عملية الفتوى من ليس أهلاً للإفتاء، فيفتي بغير ما أنزل الله تعالى، وهذا ظاهر في الحركات التكفيرية التي ظهرت في عصرنا الحالي، الامر الذي أدى إلى سفك الدماء البريئة على نطاق واسع باسم الدفاع عن الدين والأمة، وهما من هذه الحالة براء.

## ٤. التشكيك في نوايا الداخلين في الحوار

إن التشكيك في النوايا الحسنة لا يحقق الجو الهادئ المطلوب للتقارب، ويدفع لنوع من التهرب أو المماطلة أو تلمس العثرات عند الطرف الآخر، مما يتبع من تحقق النتيجة المرجوة، مثل عمليات الحوار بين أتباع الأديان نتيجة ما يحمله كل طرف من تراكمات ذهنية عن الآخر، فالطرف المسيحي مثلاً يحمل أحقاد الصليبية وإيحاءات المستشرقين بما يسمونه بـ(الهرطقة الإسلامية)، وما يدور في نفسه من هواجس الصحوة الإسلامية التي تنافس مشروعه في السيطرة، على حين يحمل الطرف الإسلامي سوابق ذهنية كبيرة عن خدمة التبشير المسيحي للاستعمار على مدى قرون.

ولكن العمل الجاد والتوجه للتعليمات الإسلامية الهادية والداعية لحسن الظن في الأخ المسلم يمنع من أن يلعب هذا العامل دوره في المنع من التقارب؛ خصوصاً إذا تم على مستوى العلماء العاملين الذين خبر بعضهم بعضاً في مجالات العلم والإخلاص والعمل في سبيل الأمة بمجموعها.

## ٥. فقدان الصراحة بين المسلمين

من المشاكل الأساسية هي فقدان الصراحة بين الفئات المختلفة بحيث لا يظهر أحدهما ما يجول في عقله وقلبه للطرف الآخر، فأسلوب المجاملة هو الذي يحكم الواقع الإسلامي في كثير من لقاءاته سواء أكانت على المستوى الرسمي أو في دائرة العلماء أو في الدوائر الثقافية، بحيث يؤكد للآخر على التزام الإسلام كقاعدة مشتركة وعلى أهمية التنوع في داخل الفكر الإسلامي والفقه والتشريع وفي بعض مفردات العقيدة وفهم القرآن، ويتم التأكيد على أهمية الوحدة بين المسلمين وانها السبيل لقوتهم، ولكن في الوقت نفسه، تبقى لكل فئة أحكامها المسبقة عن الآخر، والتي غالباً ما يكتنفها الغموض أو التشويه، لذا لا تأتي اللقاءات إلا بمجاملات يطلقها الحريصون على الوحدة، أو بشواهد إضافية تكرر للمتعصبين مواقفهم الحادة والرافضة للمذهب الآخر.

٦. التهويل والتضخيم واستحضار الماضي والتهجم على المقدسات وعدم احترام الآخر كل واحد من هذه الأمور يمكن أن يشكل بنفسه مانعاً وعائقاً في تحقيق الحوار المطلوب، ومن ثم الوصول إلى التقارب، والنصوص الإسلامية تتطافر في المنع من هذه الأمور، مثل قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْنَى وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جَنَّةٍ} <sup>(٦١)</sup>؛ إذ يمنع من الحوار في الأجواء الانفعالية المصطنعة، وقوله تعالى: {قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} <sup>(٦٢)</sup>، الذي يمنع من الانشغال بالماضي ويفرض احترام الآخر، وذلك واضح أيضاً في الآية الكريمة التي تنهى عن سب آلهة المشركين.

#### ٧. الذهنيات القلقة والخائفة من التواصل

لعل من أبرز العوائق وجود الذهنية التي تعد التواصل والدعوة إلى الوحدة مدخلاً إلى تمييع المذهب أو النهج الفكري الذي ينتمي إليه أصحاب هذه الذهنيات؛ إذ غالباً ما يتم الاصطدام بخط الوحدة تجنباً لما يروونه من مخاطر تتمثل في أمور، أبرزها:

أ. التنازل عن بعض مفردات المذهب وحتى بعض العناصر الأساسية، ففي بعض الحسابات أن الوصول إلى أية وحدة بين طرفين مختلفين أو أي تواصل مع الآخر يقتضي تقديم التنازل من كل طرف، والذي تختلف نسبته بحسب موقع كل طرف، فالضعيف لا بد من أن يقدم تنازلاً أكثر من القوي، والأقل عدداً لا بد من أن يقدم تنازلاً لمن يمتلك الكثرة العددية.

ب. عد التنازل في أي جانب حتى لو كان بسيطاً يحمل التنكر والإساءة لكل جراحات التاريخ وآلامه، حين كان كل طرف يقدم التضحيات على مذبح تأكيد مذهبه وحفظه وإبقائه حياً ومعافى.

ج. المصاعب الكبرى التي تعترض الوجدانيين من كل مذهب في ضبط قواعدهم، وخصوصاً في ظل قيام التقسيميين بتشكيك القاعدة إن بإخلاص الرموز الوجدانية أم بخطوات الوحدة التي تهدد المذهب بحسب زعمهم، ما يهدد بكسب هذه القواعد

لمصلحة التقسيمين الذي تتوافر لديهم كل الإمكانيات والقدرات، الأمر الذي يؤدي فعلاً إلى التنافس في ميادين التعصب والتفرقة.<sup>(٦٣)</sup>

#### ٨. عوائق فكرية وأخلاقية

مع الأخذ بنظر الاعتبار مخاطر هذه الذهنية التي يجب أن تواجه بحكمة وموضوعية، فإن ثمة فهوماً وممارسات لا تقل خطراً عنها، منها:

أ. الابتعاد عن الأساليب الإسلامية في التعامل عند الاختلاف، بحيث لا تكون الأخلاق الإسلامية حاكمة في مقارنة الاختلاف الفكري أو المذهبي

ب. التهيب من التعامل الجدي مع المفردات التي تثير جدلاً بين المسلمين، وتؤكد اختلافهم من قبيل النظر إلى الإمامة والخلافة ومدى حدودها والنظرة إلى الخلفاء والصحابة، التكفير، السنة النبوية، أحاديث الأئمة، النظر إلى الأولياء والبرك بمقاماتهم، النظر إلى التاريخ، النظرة إلى زوجات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، بحيث بقيت هذه القضايا تتفاعل وتتردد على الرغم من كثرة الحديث عنها، ووجود كتب مختلفة تتناولها.

ج. التغافل عن الآيات والأحاديث التي تدعو إلى الوحدة، واعتبار أنها تنحصر فقط في الدائرة الواحدة ضمن المذهب الواحد، أو أن لها بعداً أخلاقياً توجيهياً لا يأخذ طابع الإلزام، ولا يشكل عنواناً أساسياً للذهنية الإسلامية، الأمر الذي يبعد الإسلام عن أن يشكل القاعدة الأساس للرؤية والسلوك، وينفي أن المذاهب تمثل وجهات نظر في فهم الإسلام.

د. فهم بعض الآيات والأحاديث التي تعد الاختلاف حالة طبيعية إنسانية من قبيل قوله تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ} <sup>(٦٤)</sup>، وفهمها بما يكرس الاختلاف والانقسام، وهو ما لا تقصد الآية الكريمة.

١٠. الاختلاف في مناهج الاستدلال وطرق الاستنباط يمنع من التقارب في النتائج.

١١. عد القول الشاذ علامة على المذهب كله.

١٢. أخذ تصورات المذهب من أقوال خصومه.

١٣. دخول من لا أهلية له في الحوار.

١٤. اتباع الأساليب الملتوية للظفر بالطرف الآخر.

الخاتمة

بعد أن انتهينا من الخوض في اسس التقارب العلمية والفكرية في التقارب بين المذاهب الإسلامية، خلصنا إلى النتائج الآتية:

١. إن الاختلاف بين المذاهب الإسلامية تعدُّ ثروة تشريعية ومحل اعتزاز وفخر.
٢. إن الاختلاف الواقع في الفروع الفقهية والاجتهادات العملية لا تؤدي إلى التنازع والتناحر فيما بينها، بل هو اختلاف في وجهات النظر والفهم لأدلة الاجتهادات.
٣. إن التقارب المنشود بين المذاهب الفقهية يمكن أن يقع، غير انه ليس اتحاد وذوبان فيما بينها، وإنما لتقليل الفجوة بينها.
٤. إن منبع الاختلاف هو تفاوت الأفكار والعقول البشرية في فهم النصوص واستنباط الأحكام، وإدراك أسرار التشريع وعلل التشريع الشرعية.
٥. إن التقارب وسيلة لجمع ورأب الصدع، وتبادل حسن الظن والتقدير من أجل وحدة الأمة.
٦. إن التقارب لا يراد به إلغاء أصل الخلاف بين المذاهب الإسلامية، بل الغرض منه هو إزالة ما يكون سبباً للعداء والبغضاء، وتبديل التباعد والتضارب بالإخاء والتقارب.
٧. إن الوحدة الإسلامية يمكنها أن توفر فرصاً كبيرة وواسعة للبحث والتقصي والاجتهاد للنظرية الإسلامية بما يخدم مواجهة التحديات الفكرية والنظرية، ومعالجة المشكلات الإنسانية التي خلقتها الحضارة المادية والتطور العملي والمدني.
٨. إن الوحدة الإسلامية تقطع الطريق على أعداء الإسلام وإفشال مخططاتهم التي ترمي إلى تفكيك الأمة الإسلامية، ومن ثم الاستيلاء على مقدراتها.
٩. إن التقريب بين المذاهب الإسلامية يرفع الجهل والعصية والحمية الجاهلية عن انصرف عن الدين الحنيف، وانشغل بالتفريق بين المسلمين، وبرجعه إلى الاعتدال والتعايش السلمي في مظلة واحد وهي مظلة الدين الإسلامي الواحد.

- (١) ابن منظور، لسان العرب ١: ٦٦٢-٦٦٦، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط ١: ١١٤.
- (٢) الطريحي، فخر الدين، معجم البحرين ٣: ١٥.
- (٣) ينظر: الريسوني، أحمد، نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية: ٣٠.
- (٤) هادي خسرو شاهي، قصد التقريب أمة واحدة ثقافة واحدة، طهران، مطبعة انكار، ٢٠٠٧م: ١٥.
- (٥) المحامي، محمد عبد الله، معالم التقريب، رسالة الإسلام، مجلة، القاهرة، العددان ٥٥، ٥٦، ١٩٦٤م: ٢٠٣.
- (٦) الدسوقي، محمد، منهج التقارب بين المذاهب الفقهية من أجل الوحدة الإسلامية، بيروت: ٣٩.
- (٧) ينظر: كاشف الغطاء، محمد حسين، بين المسلمين، مجلة رسالة الإسلام، القاهرة، العدد ٣، ١٩٥٠: ٢٦٩.
- (٨) المطهري، الكلام: ٢٣، ط ١، دار الولا، بيروت، ١٤٣٠هـ.
- (٩) ينظر: تبرائيان، محمد حسن، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٦م: ٧٦.
- (١٠) السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات: ٤٢١-٤٢٢.
- (١١) ابن منظور، لسان العرب ١: ٣٩٣-٣٩٤.
- (١٢) الفيروز آبادي، القاموس المحيط ١: ٧٠، ينظر: الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين ٢: ٦٢.
- (١٣) تبرائيان، محمد حسن، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية: ٣٩.
- (١٤) أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٣٨٧.
- (١٥) الجزيري، عبد الرحمن، الفقه على المذاهب الأربعة: ١٣. دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- (١٦) ينظر: الدسوقي، محمد، منهج التقارب بين المذاهب الفقهية: ١٥٥، ط ١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ١٤١٥هـ.
- (١٧) ينظر: الشكعة، مصطفى، اسلام بلا مذاهب: ٢١٠.
- (١٨) محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية: ٨٨.
- (١٩) ينظر: اليوسف، عبد الله أحمد، شرعية الاختلاف: ١٢٦، ط ١، ١٤١٧هـ.
- (٢٠) ينظر: فؤاد زكريا، الصورة الإسلامية في ميزان العقل: ١٣٢، ط ٢، دار الفكر المعاصر، القاهرة، ١٩٨٧م.
- (٢١) ينظر: المنظمة الإسلامية للتربية، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية: ٩٣.
- (٢٢) ينظر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية: ١٣٣، ط ١، طهران، ١٤٢٩هـ.

- (٢٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة ١٨: ٧٩.
- (٢٤) الآلوسي، جلاء العينين: ١٠٧.
- (٢٥) ينظر: الحسن، عبد الله، مناظرات في العقائد والأحكام ٢: ٣٠٢.
- (٢٦) ينظر: السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات ٢: ٢٢، ط ١، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم، ١٤٢٣هـ.
- (٢٧) ينظر: ، والمحميد، زهير عبد الهادي، سبل تكامل الأمة الإسلامية: ٤٤، مجلة رسائل التقريب، العدد ٧٨، ١٤٣٦هـ.
- (٢٨) ينظر: القمي، محمد تقي، قصة التقريب ، أمة واحدة ثقافة واحدة: ٧٢، ط ١، مطبعة نكار، قم، ١٤٢٨هـ.
- (٢٩) ينظر: الخراساني، محمد واعظ زاده، الوحدة الإسلامية، عناصرها، موانعها، مجلة رسالة التقريب، العدد (١٥)، ١٤١٨هـ: ١٠.
- (٣٠) ينظر: العاملي، مالك مصطفى، الحرية الفكرية والسياسية في ظل الحكم الإسلامي: ٨٨، ط ١، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- (٣١) التسخيري، محمد علي، أفكار حول التقريب والوحدة: ٤٥. ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- (٣٢) ينظر: عدنان فرحان، تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية: ٩٩-١٠١، ط ٣، دار السلام، بيروت، ١٤٣٣هـ.
- (٣٣) ينظر: الدسوقي، محمد، منهج التقارب بين المذاهب الفقهية: ١٩٢.
- (٣٤) ينظر: القرضاوي، يوسف، كلمات صريحة في التقريب بين المذاهب: ١٢١.
- (٣٥) ينظر: الزحيلي، وهبة، أصول التقريب بين المذاهب الإسلامية: ١٥٦، ط ١، دار المكتبي، ١٤٢٠هـ.
- (٣٦) سورة آل عمران: ١١٠.
- (٣٧) التسخيري، محمد علي، تعدد المذاهب والتقريب والوحدة الإسلامية: ٢٥. دار الزهراء (ع)، قم، ١٤٢٢هـ.
- (٣٨) ينظر: الشيرازي، عبد الكريم، الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة: ١٥٣، ط ٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ.
- (٣٩) سورة البقرة: ١٩٣.
- (٤٠) سورة الفتح: ٢٨.
- (٤١) سورة الأنبياء: ١٠٥.

- (٤٢) سورة القصص: ٥.
- (٤٣) سورة النساء: ٧٥.
- (٤٤) ينظر: التقارب والتعايش مع غير المسلمين: ١٤٥، ط ١، دار الأندلس الخضراء، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- (٤٥) سورة الأنفال: ٣٩.
- (٤٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ٢: ١٦٣.
- (٤٧) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ١: ٤٠٤.
- (٤٨) سورة الحجرات: ١٠.
- (٤٩) ينظر: الخراساني، محمد واعظ: ٨، مجلة رسالة التقريب، العدد ١٥، ١٤١٨هـ.
- (٥٠) ينظر: الريسوني، أحمد، نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية: ١٠١.
- (٥١) ينظر: الآملي، واعظ زاده، دراسات وبحوث ١: ٥٤٥.
- (٥٢) ينظر: شمس الدين، محمد مهدي، الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي: ١٣٠، ط ١، المؤسسة الدولية، بيروت، ١٤١٩هـ.
- (٥٣) ينظر: التسخيري، محمد علي، عقبات في طريق التقريب: ٤٩-٥٢، مجلة رسالة التقريب، العدد: ٨٥، ١٤٢٧هـ.
- (٥٤) الوحدة الإسلامية: عوائق وتطلعات: ١٤٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- (٥٥) ينظر: شيرين هنتر، مستقبل الإسلام والغرب: ١١١.
- (٥٦) John Buchan, Green Mantle: P.V. first edition, House of Stratus, ١٩٨٨.
- (٥٧) الأنصاري، فاضل، قصة الطوائف، الإسلام بين المذهبية والطائفية: ٢٣٣. دار الكنوز الأدبية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- (٥٨) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري ٤: ١٣٩.
- (٥٩) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي ٢: ٢٥.
- (٦٠) ينظر: المطهري، الكلام: ٩٩.
- (٦١) سور سبأ: ٤٦.
- (٦٢) سورة سبأ: ٢٥.
- (٦٣) ينظر: فضل الله، محمد حسين، الوحدة الإسلامية، عوائق وتطلعات: ١٤١.
- (٦٤) سورة هود: ١١٨.

## المصادر:

- خير ما يُبتدأ به القرآن الكريم.
- ١. ابن منظور، لسان العرب، ١٤٠٥هـ.
- ٢. أحمد فتح الله، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، ط ١، مطابع المدوخل، الدمام، ١٤١٥هـ.
- ٣. الألوسي، جلاء العينين.
- ٤. الآملي، واعظ زاده، دراسات وبحوث، ط ٢، دار الجيل، ١٤٢٨هـ.
- ٥. الأنصاري، فاضل، قصة الطوائف، الإسلام بين المذهبية والطائفية، دار الكنوز الأدبية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ٦. البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ.
- ٧. تبرائيان، محمد حسن، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ٢٠٠٦م.
- ٨. التسخيري، محمد علي، أفكار حول التقريب والوحدة، ط ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٩. التسخيري، محمد علي، تعدد المذاهب والتقريب والوحدة الإسلامية، دار الزهراء (ع)، قم، ١٤٢٢هـ.
- ١٠. التسخيري، محمد علي، عقبات في طريق التقريب، مجلة رسالة التقريب، العدد: ٨٥، ١٤٢٧هـ.
- ١١. التقارب والتعايش مع غير المسلمين، ط ١، دار الأندلس الخضراء، الرياض، ١٤٢٤هـ.
- ١٢. الجزيري، عبد الرحمن، الفقه على المذاهب الأربعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- ١٣. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، ط ٢، مهر، قم، ١٤١٤هـ.

١٤. الحسن، عبد الله، مناظرات في العقائد والأحكام، ط، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٧هـ.
١٥. الخراساني، محمد واعظ زاده، الوحدة الإسلامية، عناصرها، موانعها، مجلة رسالة التقريب، العدد (١٥)، ١٤١٨هـ.
١٦. الدسوقي، محمد، منهج التقارب بين المذاهب الفقهية، ط١، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، بيروت، ١٤١٥هـ.
١٧. الريسوني، أحمد، نظرية التقريب والتغليب وتطبيقاتها في العلوم الإسلامية.
١٨. الزحيلي، وهبة، أصول التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط١، دار المكتبي، ١٤٢٠هـ.
١٩. السبحاني، جعفر، رسائل ومقالات، ط١، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، قم، ١٤٢٣هـ.
٢٠. الشكعة، مصطفى، إسلام بلا مذاهب، دار المعارف، القاهرة، ١٤٢٢هـ.
٢١. شمس الدين، محمد مهدي، الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، ط١، المؤسسة الدولية، بيروت، ١٤١٩هـ.
٢٢. الشيرازي، عبد الكريم، الوحدة الإسلامية أو التقريب بين المذاهب السبعة، ط٢، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤١٢هـ.
٢٣. شيرين هنتر، مستقبل الإسلام والغرب.
٢٤. الطريحي، فخر الدين، معجم البحرين، ط٢، ١٤٢٨هـ.
٢٥. العاملي، مالك مصطفى، الحرية الفكرية والسياسية في ظل الحكم الإسلامي، ط١، دار الهادي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
٢٦. عدنان فرحان، تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، ط٣، دار السلام، بيروت، ١٤٣٣هـ.
٢٧. فضل الله، محمد حسين، الوحدة الإسلامية، عوائق وتطلعات.

٢٨. فؤاد زكريا، الصورة الإسلامية في ميزان العقل، ط٢، دار الفكر المعاصر، القاهرة، ١٩٨٧م.

٢٩. الفيروز آبادي، القاموس المحيط.

٣٠. القرضاوي، يوسف، كلمات صريحة في التقريب بين المذاهب.

٣١. القمي، محمد تقي، قصة التقريب، أمة واحدة ثقافة واحدة، ط١، مطبعة نكار، قم، ١٤٢٨هـ.

٣٢. كاشف الغطاء، محمد حسين، بين المسلمين، مجلة رسالة الإسلام، القاهرة، العدد ٣، ١٩٥٠.

٣٣. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ط٥، حيدري، ١٣٦٣ش.

٣٤. المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ط١، طهران، ١٤٢٩هـ.

٣٥. المحامي، محمد عبد الله، معالم التقريب، رسالة الإسلام، مجلة، القاهرة، العددان ٥٥، ٥٦، ١٩٦٤م.

٣٦. محمد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية.

٣٧. المحميد، زهير عبد الهادي، سبل تكامل الأمة الإسلامية، مجلة رسائل التقريب، العدد ٧٨، ١٤٣٦هـ.

٣٨. المطهري، الكلام، ط١، دار الولاية، بيروت، ١٤٣٠هـ.

٣٩. المنظمة الإسلامية للتربية، استراتيجية التقريب بين المذاهب الإسلامية.

٤٠. هادي خسرو شاهي، قصد التقريب أمة واحدة ثقافة واحدة، طهران، مطبعة انكار، ٢٠٠٧م.

٤١. الوحدة الإسلامية: عوائق وتطلعات، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٢٢هـ.

٤٢. اليوسف، عبد الله أحمد، شرعية الاختلاف، ط١، ١٤١٧هـ.

i. John Buchan, Green Mantle: P٧. first edition, House of Stratus, ١٩٨٨.